

الجهل نوعان

الجهل نوعان : نوع يعذر به صاحبه ، ونوع لا يعذر به ، حقيقة جهلها الكثيرون قال ابن القيم : وَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَهُ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ } فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنْ مَنْ ابْتَلَاهُ بِقَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَّاهُ يَوْمَ ، إِثْمًا كَانَ يَسَبِّبُ إِعْرَاضَهُ وَعَشْوَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكَانَ عُقُوبَةَ هَذَا الْإِعْرَاضِ أَنْ قِيضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقَارِنُهُ فَيَصُدُّهُ عَنِ سَبِيلِ رَبِّهِ وَطَرِيقِ فَلَاحِهِ ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مَهْتَدٌ ، حَتَّى إِذَا وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ ، وَعَايَنَ هَلَاكَهُ وَإِفْلَاسَهُ ، قَالَ : { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبئْسَ الْقَرِينُ } وَكُلٌّ مِنْ أَعْرَاضِ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ قَلْبًا بَدَأَ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَإِنْ قِيلَ قَهْلٌ لِهَذَا عَذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ عَلَى هَدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ } قِيلَ : لَأَعَذْرُ لَهُذَا وَأَمثَالَهُ مِنَ الضَّلَالِ الَّذِينَ مَنْشَأُ ضَلَالَتِهِمْ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مَهْتَدٌ ؛ فَإِنَّهُ مَفْرُطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اتِّبَاعِ دَاعِيِ الْهَدْيِ ، فَإِذَا ضَلَّ قَائِمًا أَتَى مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ ، وَهَذَا يَجْتَلِافُ مَنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُضُوعِ إِلَيْهَا ، فَذَلِكَ لَهُ حُكْمٌ آخَرٌ ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ إِثْمًا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلَ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } وَقَالَ تَعَالَى { رَسَلْنَا مَبشُرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلْمُوا الْبَشَرِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ } وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } وَقَالَ تَعَالَى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ لَعْنَةً لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَآتِيكَ بِهِ } وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ . مَفْتَا ح دَار السَّعَادَةِ (1/208) .